مقياس: تيارات فكرية كبرى

الدكتور: محمد بومدين-

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- سطيف2.

الوضعية الخامسة: التيار المادي

أن يميز الطالب بين مفاهيم الدرس التي لها علاقة بمفاهيم التيار المادي

الأهداف الإجرائية:

أن يعرف الطالب المفاهيم الخاصة بالتيار المادي بصورة دقيقة

أن يفسر الطالب التيار العقلاني وتاريخيته الزمنية من اليونان إلى الفلسفة الحديثة بشكل صحيح

أن يرتب الطالب أفكاره وفق محتوى التيار المادي بشكل محدد.

توطئة:

وفي إطار التعريف والبحث والتقصي حول التيارات الفكرية نفتح اليوم باب النقاش حول تيار من بين أهم التيارات الفكرية الكبرى عبر تاريخ البشرية على الإطلاق، ألا وهو "التيار المادي" الذي يعتبر واحد من بين أهم التيارات الفكرية والفلسفية والاجتماعية، حيث يحتاج منا هذا الأخير إلى تبيان معنى النزوع المادي ونزع اللبس والغموض على العديد من المفاهيم التي لها علاقة مباشرة بهذا التيار خاصة مفهوم "المادة"، و"المادية"، والأديولوجية المادية"، والنزعة المادية" والتي ارتبطت بالجانب العالمي تارة والجانب العلمي من حيث هو فيزيائي ومن حيث هو بيولوجي تارة اخرى ومن حيث هو تاريخي اجتماعي و اقتصادي بصورة أهم مما سنتطرق إليه في هذه المحاضرة.

إن التفكير المادي قديم التفكير الإنساني منذ أن بدأ الإنسان يتطلع على هذا العالم بعينه المجردة، ويعايش الأشياء بذاته ويتفرد بتصوراته فيما يحيط به، فوجود الإنسان في العالم جعل منه يعايش المادرة بعناصرها لما ولا أن الإنسان في حد ذاته يتركب من ثنائية "الفكر والمادة" و"الروح والجسد" مما يتيح لديه ملكات البحث والتأمل في محاولة الكشف عن العلاقة التي تؤسس للإنسان وعلاقته بالمادة.

فما هو تعريف التيار المادي؟ وهل ظهور النزعة المادية أخذت لونا فكريا واحدا أم تعددت بحسب أنماط التفكير وصور المادة وتجلياتها؟

وما هي الأفكار والآراء التي يقدمها أنصار التيار المادي ؟ وماهي الإضافة التي قدمها هذا التيار للفكر الإنساني؟

أولا: تعريف التيار المادي matérialisme:

مشتقة من كلمة مادي،هي فاعل من "مدى" وجمعها مادات ومواد كلمة مشتقة من المدد.

وكلم مادي منسوب إلى مادة ومادية وهو مقبال للروحي والمعنوي وغي المادي بلا جسد أو جسم أو شكل أو أبعاد، ويقال عن شخص ما انه مادي في حال أنه متشبع بما هو ملموس ومحسوس ومحسوب

ويذهب أنصار هذا الموقف للقول بأن العالم الطبيعي بصيغته المادية هو العالم الحقيقي وما دونه خرافة. فلا اعتقاد عندهم بوجود عالم وحاني ميتافيزيقي، وهي نزعة جاءت ضد الفكر المثالي. فحتى العقل لا يدرك إلا ما ياتيه من عالم المادة أ لعالم الخارجي.

ترد المدرسة المادية كل شيء إلى تفسير واحد لا يخرج عن إطار المادة سواء السياسة او الاقتصاد او الاجتماع البشري او المعرفة او الاخلاق فكل شيء يرد للعالم العيني.

ثانيا: جذور التيار المادي:

إذا ما أردنا ضبط البدء التاريخي للتفكر المادي، فهو قديم قدم الإنسان ووجوده وتبصره للعالم بالعين المجردة، وبعمل حواسه في كل ما يحيط به في العالم الخارجي، يربطها البعض بأنها فلسفة

تعود إلى الحضارة الهندية والتي تسمى بالشارفاكا سنة 600 ق م، غير أن التفكير المادي بصورته التأويلية للعالم كان مع المدارس الطبيعية في العصر اليوناني، ولوكريتيوس، وطاليس المالطي، وإبيقور، وديموقريطوس.

وقد أخذت المعنى الدال على قبول كل ماهو مادي مقابل فض كل ماهو لامادي، "والقول انه لا وجود في الكون الا محكوم بقوانين المادة، وواقع في إطار الزمان والمكان والحس البشري وماعدا ذلك وهم". يفهم من هذا ان الالعالم بمعطاه المادي هو الغرض المنشود وما دون ذلك من قضايا ميتافيزيقية ومثالية صرفة لا يعترف بها أنصار هذا التيار. وعرفت المادية العديد من التاثيرات في جوانب متنوعة ومتخلفة وقد ظهرت العديد من اللونيات المادية على غرار النزعة الوضعية، والتقليدية، والماركسية.

وقد انقسم الى اتجاهين اثنين هما: **(الاتجاه المادي المحض- والاتجاه التوفيقي)**

1-الاتجاه المادي المحض: الذي أخذ جانب كبيرا من الحدية والتطرف المادي مقابل رفض كل ماهو مادي وماهو ديني، وكان يمثل هذا الرأي كل من "دولباخ، نبتشه، لاميتري" وحتى ماركس ولينين وغيرهم وقد سلكت ماديتهم مسلكين اثنين هما:

أولا: المادية الميكانيكية (العلمية):

وهي نزعة ركنت اهتمامها على مفهوم السببية أي ان لكل حادثة سبب واقعي مادي، وهو ما ذهب اليه "ديموقريطس" الذي راى بأن هي مجموع ذرات صلبة لا تقبل التغيير ولا الانقسام وان العالم يتم الوصول اليه من خلال الحواس والانتقال ما ماهو خارجي الى ماهو داخلي.

ويمكن اضافة الفيلسوف الانجليزي "توماس هوبز" ضمن هذا الطرح والذي آمن بالمادية الأحادية وانتهى به الأمر للقول بأن كل ما هو عقلي مرده الى ما هو واقعي ميكانيكي. وهو نفس التوجه الذي سار فيه العديد من الفلاسفة في القرن 18م".

ثانياً: المادية الديالكتية :

وتعني كلمة ديالكتيكية اي جدلية وهو المسار الذي أسسه الحزب الماركسي نسبة الى كارل ماركس (1818-1883م) وقد تأثر بالفلسفة الطبيعية اليونانية وكتب أطروحته في الدكتوراه

ديمقريطس وأبيقروس. كما كان معه فردريك انجلز (1895- 1820م) في نفس التوجه، وارجعت هذه النزعة كل شيء الى الحوادث الطبيعية وطريقتها في البحث والمعرفة الى التصو الجدلي، "ولان تعليلها حوادث الطبيعة وتصورها هذه الحوادث، اي نظرتها هي مادية.

وكما رأينا في المادية الميكانيكية التي تعيد كل شيء إلى علة خارجية، بينما في الطح المادي الجدلي نلحظ عكس ذلك، أي تعيد كل شيء إلى ماهو ذات واستطاع انصارها تاسيس نزعة فلسفية قائمة بذاتها تقبل التعميم على العديد من القضايا الفلسفية وقد انتهج ماكس جدليته نسبة الى الجدل الذي بادر بطرحه استاذه هيجل من قلبه غير انه هالف الرأي والسند إلى نزعة تخالف ماهو مثالي الى مادي يؤمن بالعالم كمنتهى وغاية في الوجود، "ولم يكتفي ماركس بتحديد موقف فلسفي وعلمي- كما يزعم من ظواهر الوجود والحياة على الصعيد العلمي، بل بل جرى توسيع نطاق مبادئها(الديتالكتيكية) حتى تشمل دراسة الحياة الاجتماعية، وتطبق هذه المبادئ على الحوادث الاجتماعية والاقتصادية ومجمل فعليات النشاط البشري الاخرى"

وقد أعاد ماركس دراسة التاريخ البشري، الذي ارجع فيه كل شيء إلى الجدل الذاتي من خلال النشاط الاقتصادي والسياسي والحقوقي والفلسفة والديني والأدبي والفني يرتكز كما يرى أنجلز على النشاط الاقتصادي". ويتكون نمط الإنتاج في المجتمع من "القوى المنتجة" والتي تتمثل في الكائن البشري، الآلات، التقنيات، ومن علاقات الإنتاج، الحرف، الأعمال الزراعية ...وقد مر المجتمع الأوربي عبر مراحل عديدة بداية من المجتمع الإقطاعي البورجوازي وصولا الى درجات عليا من التقدم نتيجة صراعات ومنافسات اقتصادية واجتماعية بين طبقات المجتمع ومنها إلى الثورة الاجتماعية.

2- الاتجاه التوفيقي:

وهو الاتجاه التوفيقي الذي اعترف بطرفي المشكلة التي استشكلها، كلنه أقصى الطرف الثاني لهو الدين من ميدان المعرفة البشرية، وربطه بالوجدان القلبي المجرد من معنى العقل والتعقل.... وقد ذهب الى هذا الاتجاه كل من(كانط، باسكال، جورج سنتيانا، وراسل...) وقد حاولوا الربط بين الأشياء وبين إدراكنا لها ليتخرجوا بنتيجة مفادها: أننا لا ندرك سوى المحسوسات، وأن

التجربة العقلية هي أساس معرفتنا، وان المحسوس هو الحقيقة، بما يعني أنهم لم يجعلوا للعالم وجود مستقل عن إدراكنا.

وقد عرفت النزعة المادية العديد من الفلاسفة والعلماء والمفكرين فضلا على من ذكرناهم فيما سبق نجب كل من (نيوتن وفيورباخ وتشارلز داروين في المادية التطورية. و"ألبير كامي" و "جون بول سارتر" في الفلسفة الوجودية الفرنسية وأنطونيو غرامشي .

وتم امتدادا الفكر المادي حتى في البيئة العربية مع العديد من المفكرين على غرار "شبلي شميل" الذي تأثر بالنزعة التطورية الداروينية، و"زكي نجيب محمود" الذي تأثر بالنزعة المادية الوضعية وتجلى ذلك من خلال كتابه "خرافة الميتافيزيقا"، وكذا "حسين مروة" و"الطيب تزيني" و"عبد الله العروي" و"مهدي عامل" و"الياس مرقص". وغيرهم من المفكرين العرب الذين أرجعوا منظوماتهم الفكرية إلى مصادر غربية مقاطعة للتراث العربي ومحاكيا للفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة.

خاتمة:

في الأخير نستنتج بأن التيار المادي له تأثيرات تاريخية قديمة وبدايات يمكن العودة بها حتى لدى الحضاءة الفرعونية والصينية والهندية مرورا بالحضارة اليونانية حيث تحول التفكير إلى البحث في العالم ومحاولة سبر أغواره مرورا بالفترة الوسيطة أخذ الدين يهيمن على العقل آنذاك وليس فيه ما يمكن أن يصل لمستوى العلم، ثم أصبحت المادية ذات طابع ميكانيكي كما رأينا ذلك فيما سبق،. ليتحول الأمر بعد ذلك مع ماركس وآنجلز غلى مستوى الطابع الديالكتيكي ذات منحة إقتصادي بحت، كما أخذت الدراسات الفيزيائية المادية مع نيوتن محاولات البحث في عالم المادة والذرة وعناصرها الجزيئية لتأخذ المادية في الفترة اللاحقة طابعا علميا مع تشارلز داروين في نظرية التطور والنشوء والارتقاء البيولوجي.

وفي الفلسفة المعاصرة وخاصة مع مدرسة فرانكفورت بدأت الماركسية الجديدة تحدث مفاهيم جديدة ويأخذ الإنسان بعداً واحداً خاصة مع "هربرت ماركيوز" و"آكسل أونيث" على غرار فكرة "التشيؤ" وكذا الإنسان السيبراني الآلي، لينزل الفرد بأبعاده وقواه إلى مستويات دنيا، ذلك لأن المادية ترفض القيم العليا والمقاصد الرفيعة للإنسانية، وتربط الفرد بأشياء المادية بحتة وهي ضرورة حتمية تفرضها قوى الإنتاج لا خلاص منها.